حـــوار مع المصطفى المعـــتـــصم

أجراه: عبد الحق لبيض

المحور الأول: حزب اللّه.. ومشروعية الانتصار

الآداب: **ما الذي يمثّله صمودُ المقاومة اللبنانية وانتصارُها أمام العدوان الإسرائيلي الأخير على لبنان في ظلّ تزايد الإحساس لدى الشعوب العربية بمرارة الخيبة والهزيمة أمام جبروت «العالم الحر»؟**

المصطفى المعتصم: شكّل الصمود والانتصار المذكوران عنوانَ عافية هذه الأمة وعنفوانها، وتجسيدًا ساطعًا لنبضها الذي ما تزال فيه بقيةٌ من حياة، بالرغم من كلّ ما يُحاك ضدّها من طرف الغرب الاستعماري ومحميّيه داخل الوطن العربي والإسلامي. إنّ انتصار المقاومة اللبنانية معناه انتصارٌ إرادة الصمود على إرادة الهزيمة والاستسلام، وانتصارٌ لإرادة الحياة على إرادة الموت الحضاري، وانتصارٌ للوحدة ضدّ التجزئة، وانتصارٌ للحرية والكرامة والعز على الاستعباد والذلّ والمهانة. انتصار المقاومة معناه الهزيمة للمشروع الصهيو ـ أميركي في بناء شرق أوسط كبير أو جديد مبني على الفوضى الخلاّقة. في التدمير والتقتيل والعنف الطائفي والمذهبي

الآداب: **هل يمكننا الإيمانُ، فعلاً، بأنّ المقاومة حقّقت انتصارًا على أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يُقْهر؟ أمْ يجب أن نتحوّط فنقول إنّنا ربما كسبنا جولةً في معركة مفتوحة، وعلينا الاستعداد لمراحل أكثر عنفًا؟ وما هي الأدوات الناجعة لإدارة الجولات القادمة من هذه المعركة؟**

المعتصم: لا يمكن الاعتقاد بأنّ انتصار المقاومة في لبنان مجرّدُ ادّعاء إعلاميّ، بل هو أمر واقع يعترف به العدوُّ قبل الصديق وإذا كان الصمودُ، لأزيد من شهر، في وجه جيشٍ اعتادَ هزمَ الجيوش العربية مجتمعةً خلال ساعات، يُعدّ في حدّ ذاته انتصارًا، فإنّ حزب الله قد حقّقَ ما هو أكثر من الصمود. لقد هَزَمَ الجيشَ الصهيوني، المدجّجَ بأحدث الأسلحة الأميركية، شرَّ هزيمة، ومَنَعَ الأميركان والصهاينة من تحقيق أهدافهم. بل أتوقّع أن تأتي نتيجةُ هذه الجولة من الصراع حتى على ما تبقّى من أحلام الإدارة الأميركية، والكيان الصهيوني وحلفائهما، في بناءِ شرقٍ أوسطَ جديدٍ على مقاسهم وخدمةً لمصالحهم على حساب مصالح دول المنطقة وأمنها.

صحيح أنّ الصهاينة لن يَصْبروا على هذه الهزيمة المذلّة لجيشهم الذي قالوا عنه إنّه لا يُقْهر، ولاستخباراتهم ولاستخبارات الدول الدّاعمة لهم، وللأقمار الإصطناعية، وللخطط الحربية، وللعقيدة القتالية الصهيونية. ومن الغباوة التفكير أنّ الأميركان والصهاينة لن يبحثوا عن جولة للثأر لهزيمتهم. لكنّ الأكيد أنّهم سيفكّرون ألفَ مرة قبل أن يُقْدموا على أيّ مغامرة عسكرية جديدة. ثم إنّ قادة حزب الله ليسوا كباقي القيادات العربية. فهم لا يخطئون أبدًا في نوايا إسرائيل وداعميها، ولقد تعلّموا جيّدًا أنّ اليقظة والاستعدادَ الدائمَ قادران وحدهما ـ بعد عون الله وتوفيقه ـ على حماية لبنان ومقاومته. إنّ الأرض التي دارت عليها الحربُ البريةُ الأخيرة بين مجاهدي حزب اللّه والصهاينة هي أرضٌ استُرجعتْ سنة ٢٠٠٠ من العدو بعد اندحاره، ومنذ ذلك التاريخ والمقاومة تُعِدُّ العدّة لحربٍ قد تندلع في أية لحظة. وإنّك حينما تستمع إلى السيد نصر اللّه يتحدّث عن إستراتيجية الدفاع الوطني اللبناني، وعن دور المقاومة فيها، تتأكّد من مدى استيعاب المقاومة وقيادتها لطبيعة العدوّ الصهيوني وطبيعة الحرب ضدّه إنّه عدوٌّ ما فتئ يردّد على لسان زعمائه أنّ فترة السلم بين حربين هي فترةُ إعدادٍ لحرب قادمة. حزب الله واعٍ كلّ الوعي بهذا الأمر، ولا خوف عليه في هذا الصدد. لكنّ الخوف، كلّ الخوف، من المتآمرين والعملاء والمتربّصين. الخوف، كلّ الخوف، أن يُمنع حزبُ اللّه من إعادة تسليحه وتجديدِ ترسانته، أيْ أن يُمْنع من الإعداد كما يجب لجولةٍ قادمةٍ من الصراع.

الآداب: **ربما لم يختلف العرب، وضِمنَهم المثقفون، في حرب ضدّ العدوّ الإسرائيلي بالحجم الذي اختلفوا به في مواقفهم من العدوان الأخير على لبنان، وبخاصةٍ من المقاومة اللبنانية. ويمكننا أن نوجز أهم معالم الخلاف في العناصر الثلاثة الآتية: أ ـ إنّ حزب الله ينفّذ أجندةً خارجيةً تتحكّم**

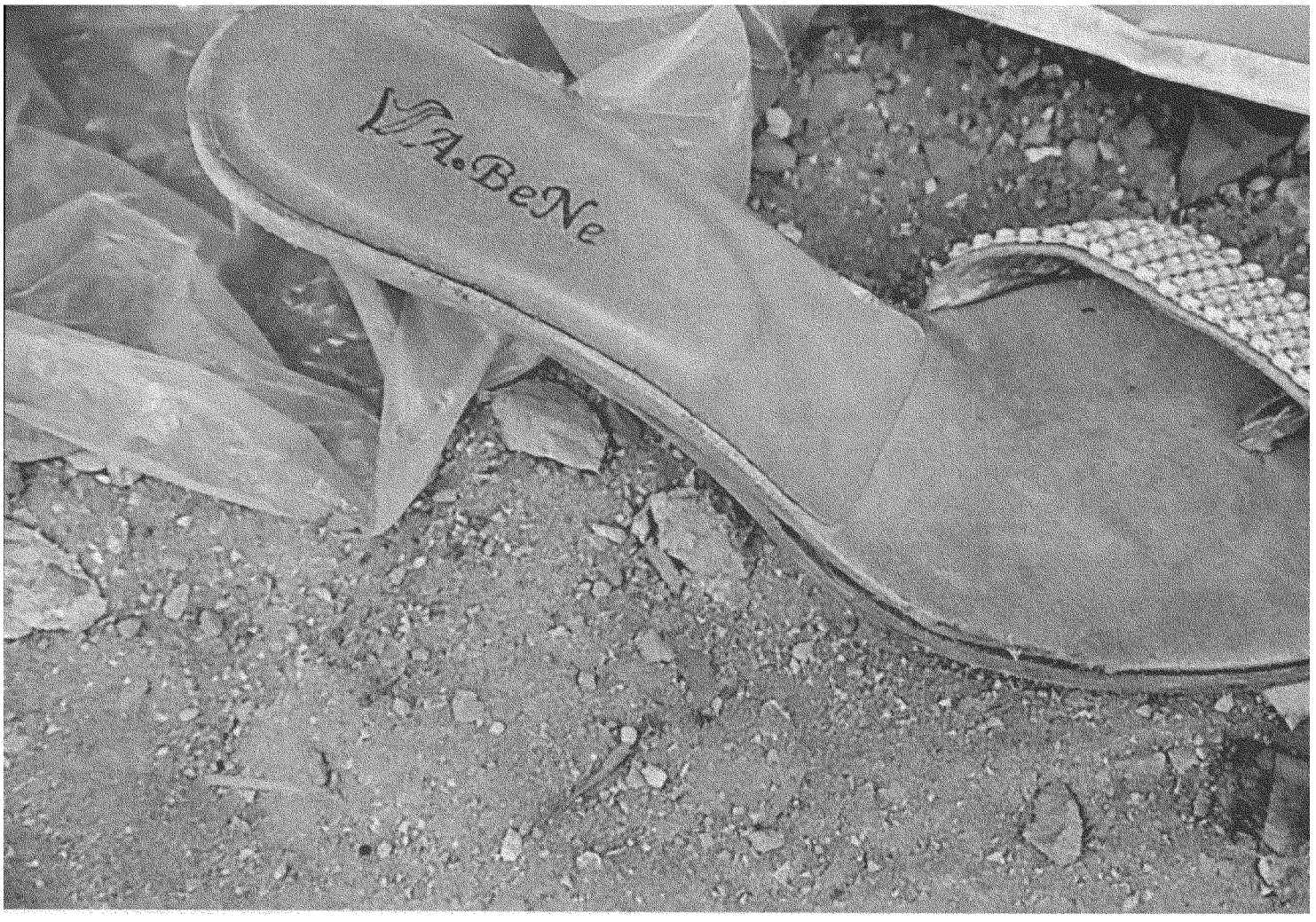

عابرييلا بوليسوڤا

حذاءٌ نسائي في الضاحية

في مفاصلها الأساسية قوًى إقليميةٌ ذاتُ مصالح محددة، ونعني بها المحور الإيراني ـ السوري. ب ـ إنّ حزب اللّه منظمةٌ أصوليةٌ إسلامية معادية للحداثة، وأيُّ انتصار تحقّقه يسهم في تقويض البناء الديموقراطي الذي تسعى الدولُ العربية إلى بنائه. ج ـ إنّ حزب الله فصيل طائفي شيعي ينتصر في معركته لطائفته ويزوّد رصيدَها الاجتماعي والنضالي على حساب الطائفة السُّنية، بل ويوسّع من دائرة نفوذ الدولة الشيعية الإيرانية في المنطقة. فما رأيكم في ذلك؟

المعتصم: لا بدّ من التذكير أولاً بالمناخ السياسي العامّ الذي ساد المنطقةَ العربيةَ بعد أحداث ١١ شتنبر بنيويورك. فالإدارة الأميركية خلصتْ إلى أنّ الأنظمة العربية الديكتاتورية هي السبب الرئيسي في ظهور التطرُّف، خصوصًا الديني ولهذا عمدتْ هذه الإدارة إلى محاولة بناء شرق أوسط كبير «ديموقراطي،» مرةً بالغزو المباشر كما حدث في العراق وأفغانستان، ومرةً بالضغوط السياسية والاقتصادية، ومرةً بالترغيب، وفي العديد من المرات بالترهيب. وهذا ما جعل العديدَ من الحكّام العرب يرتجفون خوفًا على مصيرهم ومستقبل أنظمتهم.

ومن جهة ثانية، سعت أميركا، وحلفاؤها من الدول الغربية، إلى التضييق على المقاومة وعلى مَنْ يَدْعمها من دول ومنظمات فكان اغتيال الحريري منطلقًا لإخراج سوريا من لبنان وعَزْلِها إقليميّاً ودوليّاً، وكان التهديدُ ضدّ طهران، وكانت محاولةُ نزع سلاح حزب اللّه إما لبنانيّاً أو بواسطة إسرائيل. لكنّ رياح التغيير الديموقراطي جاءت بما لا تشتهيه السفنُ الأميركية، سواء في فلسطين أو في مصر أو حتى في العراق ـ وهو الأمر الذي انتبهتْ إليه الإدارةُ الأميركية، فسعت إلى إعادة النظر في موقفها من دمقرطة المنطقة

هذا التغير في الموقف الأميركي التقطتْه الأنظمةُ العربيةُ الاستبدادية، فعاودتْ ترديدَ أطروحتها القديمة: أنّها أثمنُ للغرب ومصالحه ولإسرائيل من أيّ نظام آخر قد تأتي به الشعوب! وهنا يجب التذكير أنّ هذه الأنظمة، قبل أن «تتخلّى» عن المقاومة اللبنانية «الشيعية،» كانت قد تخلّت عن المقاومة الفلسطينية «السُّنية،» وعن السلطة الفلسطينية المنتخبة بشكل ديموقراطي (إذ قَطعوا عنها المساعدات، وحَرموا وزيرَ خارجيتها من المشاركة في اجتماعات وزراء الخارجية العرب والجامعة العربية، ووقفوا متفرِّجين على مذابح الفلسطينيين في غزة). إنّها، إذن، معالمُ صفقة سياسية، عنوانُها رأسُ المقاومة مقابلَ إعادة أميركا النظرَ في سياستها تجاه هذه الأنظمة.

وممّا يؤكّـد وجـودَ هذه الصـفـقـة، وبعلم مـسـبّقٍ من طرف هذه الأنظمـة، على عـدوانٍ وشـيكٍ ضـدّ المقـاومـة وسـلاحـهـا، هو أنّ سرعة تحرُّك الأنظمة المذكورة لإعلان موقفها المعادي للمقاومة كان بمثابة إعطاء الضوء الأخضر لشنّ العدوان ضدّ لبنان. وما تحريكُ الآلة الإعلامية، والفتاوى الضالّة للتشويش على المقاومة وبطولاتهـا، وتحـريفُ المعـركة دوافعَ ومـراميَ وأهدافًا، إلا دلائلُ إضافيةٌ لمن يحتاجها في ما نذهب إليه.

أما المثقفون تحديدًا، فلهم قصةٌ أخرى. إذ منذ انهيار النظام الثنائي القطبية تحوّل العديدُ منهم صوب واشنطن وسفاراتها العاملة بالبلدان العربية والإسلامية. ومِنْ هؤلاء مَنْ تحوّل، تحت ذريعة العمل في إطار «المجتمع المدني،» إلى مرتزق؛ في حين ادّعى آخرون باسم «الواقعية» أنْ لا مستقبل للمقاومة والممانعة أمام جبروت أميركا، وأنّه من الأفضل أن نكون مع أميركا في هذه المرحلة على أن نكون ضدّها.

أما عن علاقة حزب الله بإيران فهو لم يُخْفِ يومًا علاقتَه بها، ولا بسـوريا. وليس هناك عـاقلٌ في الأرض يُمْكنه أن يتصـور أن يصل أداءُ حزب الله إلى هذا المستوى من دون دعم خارجي. لكنّ سؤالي هو: مَنْ الذي مَنَعَ بعضَ الدول المتباكية اليوم على الفكر السُّنّي، وعلى مستقبل المذاهب السُّنية، من العمل على إيجـاد مثل حـزب الله يكون سُنّيًـا ويأخـذ مـوقـعَـه في خندق المواجهة ضدّ الصهيونية؟ وإذا كان هناك تخوُّفٌ من أن يستغلّ الشيعةُ انتصـارَهم لنشرِ مذهبهم، فإنّ مواجهة هذا الأمر ـ لو سلّمنا بضـرورتهـا ـ لن تكون بالخـيـانة والتـواطؤ مع العـدوّ المباشر إسرائيل وحليفتِها الاستراتيجية أميركا!

لهؤلاء «القلقين» من أن يستغلّ حزبُ اللّه انتصارَه لنشرالتشيُّع في الوطن العربي والإسلامي نقول: ها هي مـقاومةٌ سنّيةٌ في العـراق وفي فلسطين، بل وحـتى فـي الجنوب اللبناني، تنتظر الدعمَ والنصرةَ. فلماذا يتمّ التخلّي عنها؟ لماذا لا تَلْعب الدولُ والأنظمةُ المتباكيةُ على السُّنّة والفكرِ السنّي دورًا كالذي تَلْعبه إيران في لبنان؟ إنّه مجرد سؤال، ولا ننتظر الإجابةَ عنه لأنّنا نَعْرفها مسبّقًا!

إيران مشكورة على دعمها لحزب اللّه، بل وللمقاومة الفلسطينية أيضًا، ومن المعيب أن نوجّه سهامَنا إلى مَنْ يساعدنا على رفع وجوهنا من الوحل ويَدْفع بنا نحو العزّة والكرامة. وسواء أحببنا أَمْ كرهنا، فإنّ الصـراعَ اليوم في العراق أو في لبنان أو في فلسطين هو صراعٌ معقّدٌ يتداخل فيه المحليّ بالإقليمي بالدولي. وإنّه لمنطقٌ عـجيبٌ وغريبٌ أن نَقْبل بدخول أميركا لمنطقتنا لترتيبها كما تشاء، وأن نَقْبل من الأميركيين أو الفرنسيين قولَهم إنّ ما يجري في منطقتنا يهمّ أمنَهم القومي، وننكرَ هذا الأمر على سوريا وإيران. إذا كان بعضُ العرب قد تخلّوا عن لعب أيّ دور في ترتيب منطقتهم لصالح الاستعمار وإسرائيل، فهذا شأنهم ـ وفي اعتقادي أنّ هذا هو مصدرُ حقدهم على المقاومة وعلى مَنْ يدعم المقاومة.

إنّ الطريق مشرعـةٌ أمـام مَنْ يريد بناءَ النظام الديموقـراطي، وأيضًـا أمـام مَنْ يريد أن تكون للطائفـة السُّنيـة كلمـتُـهـا في المقاومة والممانعة حتى لا يبقى حزبُ اللّه ومَنْ يدعمه (وأقصد هنا تحديدًا إيران) ينوبون عن الأمة وحدهم ويتحمّلون وحدهم ثقلَ المعركة الشرسة التي تخوضها الأمةُ ضدّ الاستعمار والصهيونية.

سيكون مخطئًا مَنْ يفكّر بالتصدّي لحزب الله وإيران باتفاق وادي عربة، وكامب دايڤيد، وأوسلو، وبالمواقف الخيانية، وبهدْرِ المال العربي في المواخر وطاولات القمار، وعلى فضائيات الفسق والفجور التي تسعى إلى تحويل بلداننا إلى ملاهٍ ليلية. إنّ من يتبنّى طرحَ الإشكال الطائفي أو المذهبي إنّما يصبّ الماءَ في طاحونة العدوّ المتربّص بنا ـ سنّةً أو شيعةً، عربًا أو عجمًا، حداثيين أو تقليديين!

الآداب: **هناك اتجاه يذهب إلى أنّ حزب الله خسر الإجماعَ الوطني الذي كان يتمتع به، وأنّ مرحلة ما بعد «انتهاء المعركة العسكرية» ستكون مرحلةَ السؤال عن جدوى بقائه وبقاء الأسلحة بين يدي مقاتليه. وهذا يعني سحبَ كلّ المشروعية عن فعل المقاومة، وبدايةَ التأسيس لمرحلةِ ما بعد**

غابرييلا بوليسوڤا

دمار في الضاحية الجنوبية

حزب الله أو ما بعد المقاومة. فهل نستطيع، موضوعيّاً وعمليّاً، الكلامَ على نهاية مرحلة حزب الله في لبنان وفي المنطقة عمومًا؟ وإذا كان ذلك متحقّقًا فعلاً، فما هي البدائلُ الممكنة في المرحلة الجديدة؟

المعتصم: حسب علمي، فإنّ حزب اللّه والسيد نصر اللّه كانا يتمتعان بالتفافٍ لبناني بعد اندحار الجيش الصهيوني عن جنوب لبنان عام ٢٠٠٠ . لكنّ هذا الالتفاف تقلّص بعد استشهاد الحريري، وبعد موقف الحزب من أطروحات قوى ١٤ آذار، والقرار الأممي ١٥٥٩ . قد لا يكون حزب الله كسب أنصارًا جددًا من بين زعماء الأغلبية، لكنّه حاز من جديدٍ احترامَ أشدّ خصومه السياسيين، بل وكسب الكثيرَ من التعاطف الشعبي على مستوى الداخل اللبناني، ناهيك بالتعاطف الشعبي الكبير وهذا ما يقلق الاستعمارَ وإسرائيل، اللذيْن لن يهدئ لهما بالٌ قبل هزيمة حزب اللّه ميدانيّاً كما يقلق بعضَ الأنظمة العربية التي راهنتْ على هزيمة ساحقة للمقاومة

لقد أثبت العدوانُ على لبنان فعّاليةَ سلاح المقاومة وجدواه بالنسبة إلى لبنان وفي اعتقادي أنّ ما حدث يَدْعم نظريةَ الدفاع الاستراتيجي كما يراها حزبُ اللّه. وسلاح المقاومة التي عجزتْ أميركا وجيشُ الكيان الصهيوني عن نزعه بالقوة لن ينزعه مَنْ هم دونهما عدةً وعددًا. وما دامت إسرائيل تنتهك حرمات لبنان جوّاً وبرّاً وبحرًا، وما دام الحلُّ الشامل والعادل للقضية الفلسطينية غائبًا، وما دامت أميركا تسعى إلى ترتيب شرق أوسط جديد على مقاس مصالحها ولصالح الكيان الصهيوني، فإنّ الحاجة إلى المقاومة ستبقى

إنّ حزب اللّه منذ نشأته لم يوجِّه سلاحَه إلى غير إسرائيل. وحتى عندما انتصر في سنة ٢٠٠٠، فإنّه أهدى الانتصارَ إلى كلّ اللبنانيين، ولم يستأثرْ بنتائجه، ولا طالب بامتيازاته. بل إنّه حتى عندما ألقى القبضَ على العملاء والخونة من «جيش لبنان الجنوبي،» فإنّه سلّمهم إلى الحكومة كي تتّخذ في شأنهم ما تراه مناسبًا، بالرغم من الأضرار التي ألحقوها به قبل التحرير وعليه، فإنّ سلاح المقاومة في يد أمينة تعرف عدوّاً واحدًا تقاومه هو العدوّ الصهيوني، ولا تتجاوزه مهما كانت الحيثياتُ والظروف

والحقّ أنّني لا أرى أنّ سؤال المرحلة سيتحدد حول «ما بعد حزب اللّه أو ما بعد المقاومة.» أبدًا! بل سيتحدد حول ما بعد

حـــوار مـع المصطفى المعـــتـــصم

انتصار المقاومة وهزيمةِ الحرب العدوانية على لبنان. فلقد كشفت الحربُ عن كساد النظام العربي الرسمي. وأعتقد أنّ صمود المقاومة في لبنان والعراق وفلسطين، بل وفي الصومال وأفغانستان، كَشَفَ عن زيفِ وهشاشةِ النظام العربي والإسلامي الرسمي الذي سيكون أمام خيارَيْن لا ثالث لهما: إما الانتصارُ للقضايا العادلة لشعوبه، والنهوضُ لتحقيق مستلزمات المرحلة في التنمية والتقدُّم والديموقراطية والعدل... وإما المزيدُ من تعميق الهوة مع شعوبها، والارتهان إلى أعداء الدين والوطن، وبالتالي انتهاؤها ككيانات سياسية قَزَمية، كما حدث من قبل مع «ملوك الطوائف »

ولن يجدي الحكوماتِ العربيةَ اليوم التهويلُ من المشروع النووي الإيراني، وحثُّ أميركا بل وإسرائيل على نسف منشآته. بل على الدول العربية أن تَغْتنم الفرصة، بدعوى تحقيق التوازن النووي مع إيران وإسرائيل، للدخول إلى نادي الدول النووية. ولن يجدي الدول العربية أن تنتظر سلامًا عادلاً للقضية الفلسطينية من يد الإدارة الأميركية المنحازة إلى إسرائيل. العرب اليوم أمام فرصة تارخية للحصول على مكتسبات لم يكونوا يَحْلمون بها قبل هزيمة أسلحة أميركا الذكية وجيش إسرائيل.

لقد دخلنا بالفعل مرحلةً جديدةً، ولكنّها مرحلةُ تأكيد الانتصار، ومرحلةُ اندحار المشروع الصهيوأمريكي وشرق أوسطهم المشؤوم.

❖ ❖ ❖

المحور الثاني: المقاومة وأزمة خطاب المثقف العربي

الآداب: **شهدتْ مرحلةُ ما بعد ١٢ يوليو انقساماً صارخًا في موقف المثقفين العرب من المقاومة في لبنان: بين مؤيِّد لعمل المقاومة، وبين مَنْ حَمَّل حزبَ اللّه مسؤوليةَ توريط لبنان في حرب مدمِّرة، وبين موقفٍ وسطٍ دَعَمَ المقاومةَ إلاّ أنّه حَمَّلَ حزبَ اللّه مسؤوليةَ ما يجري في لبنان. فهل تعتقدون أنّ كل هذه المواقف كانت صادرةً عن رؤية عقلانية نقدية لمثقف مستقلِّ الإرادةِ والقرار، أمْ أنّها كانت تَصْدر استجابةً لإكراهات معينة تتحكّم فيها مصالحُ سياسية واجتماعية وربما طائفية معينة؟**

المعتصم: قد نَقْبل أن ينتقدَ إنسانٌ عاديٌّ عمليةَ حزب اللّه ويحمِّلَه مسؤوليةَ توريط لبنان في حرب وحشية ومدمِّرة. لكنْ حينما يتعلَّق الأمرُ بمن أسميتهم «المثقفين،» فهنا يستعصي عليَّ الفهمُ بل ويستحيل!

ففي لبنان أرضٌ محتلة هي مزارعُ شبعا ولدى لبنان أسرى في إسرائيل تعهّدت المقاومةُ بإطلاق سراحهم بعد تملُّص المجتمع والوسطاء الدوليين من تعهّداتهم في هذا المجال. لقد كان العالم، إذن، أمام عملية عسكريةٍ محدودةٍ ومشروعةٍ للمقاومة لم تكن تستوجب كلَّ هذا الدمار والقتل والجرائم إنّ حربًا تدوم أزيدَ من شهر تتطلّب إعدادًا طويلَ الأمد. ولم يعد خافيًا على أحدٍ اليومَ أنّ هذه الحرب كانت مدبَّرةً ومعدّاً لها من قَبلُ، خصوصًا بعدما اقتنعت الإدارة الأميركية وحلفاؤها بأنّ أصدقاءهم في لبنان عاجزون عن نزع سلاح حزب اللّه بل لم يَعُدْ خافيًا على أحد اليومَ أنّ الحكومة الصهيونية التي ورّطتْ نفسَها في هذه الحرب الخاسرة إنما كانت تنفّذ قراراتٍ تَصْدر في البيت الأبيض

كان من الممكن أن تندلع الحربُ قبل شهرين من ذلك، حينما ادّعت إسرائيلُ أنّها تعرضتْ للقصف بصاروخين من طرف حزب اللّه، لكنّها تراجعتْ لتتّهم جهاتٍ فلسطينيةً قبل أن تطوي الملفّ. ثم إنّ إسرائيل عمدتْ بعد ذلك إلى استفزاز المقاومة عبر تنفيذ اغتيالات في حقّ ناشطين فلسطينيين من الجهاد الإسلامي، بل وذهبتْ إلى حدّ محاولة اغتيال السيد حسن نصر اللّه بواسطة شبكة عملاء تمّ اكتشافُهم قبل الشروع في ارتكاب جريمتهم الشنعاء

لقد تلقّت إسرائيلُ الأمرَ، إذن، من الإرادة الأميركية بضرب حزب اللّه ونزع سلاحه. وسواء تمت عمليةُ أَسْر الجنود أو لم تتمّ، فإنّ العدوان على لبنان كان قادمًا لا محالة. وكلّ ما فعله

غابرييلا بوليسوڤا

سلعا، مدرسة المقاصد

حزبُ اللّه، من حيث يدري أو لا يدري، هو أنّه عجّل بعمليّته في دخول إسرائيل ـ ومن ورائها أميركا ـ الحربَ.

وللتاريخ فقط، فإنّ إسرائيل سبق وأن احتلّت لبنانَ عام ١٩٨٢ بعد عملية استهدفتْ أحدَ سفرائها في لندن ونُسبتْ إلى أحد الفصائل الفلسطينية

كل هذا الكلام لأَخْلص إلى بطلانِ ما يَذْهب إليه بعضُ المثقفين العرب من تجريم للمقاومة ولفعلها المقاوم، والأدهى أنّهم ما زالوا بعد كلّ هذا الدمار والقتل يصرُّون على تضليل وعي الناس. ولكنْ يجب التنويه إلى أنّ العديد من المثقفين الذين حَمّلوا حزبَ اللّه في البداية مسؤوليةَ الحرب أعادوا تقييمَهم بعدما تجلّت لهم حقيقةُ الأمور. ربما كانوا ضدّ نهج المقاومة ولا يزالون يرونْ عدمَ فاعليتها في هذا الزمن الأميركي، لكنّهم رفضوا أن يتحوّلوا إلى أدواتٍ لتزييفِ وعيِ المواطن في العالم العربي والإسلامي

الآداب: **هل سيُسهم انتصارُ المقاومة في لبنان في إعادة صياغة المشروع الديموقراطي العربي بالتركيز مجدّدًا على انبعاث ثقافة المقاومة والممانعة، بدلاً من «تأجيل المواجهة مع العدوّ حتى تتحسّن موازينُ القوى لصالحنا»؟**

المعتصم: لقد تهيّأ للبعض أنّ الغرب عمومًا وأميركا خصوصًا صادقان في دعوتهما إلى ضرورة دمقرطة النظم العربية والإسلامية. ولذا قاموا مهرولين إلى السفارات الأميركية وانخرطوا في برامج التدريب والتأهيل على ممارسة الديموقراطية التي رعتْها وموّلتها الخارجيةُ الأميركيةُ وبعضُ المنظمات المنسوبة إلى المجتمع المدني الأميركي والأوروبي، لكنّها مرتبطة بالدوائر الرسمية في بلادها. ومن بين المهرولين مَنْ اعتقدوا أنّ صنبور الدعم المالي والسياسي الأميركي مرتبطٌ بالموقف من الدولة العبرية، فتهافتوا للتطبيع معها لظنّهم أنّ الاستبداد أخطرُ من داءٍ عضالٍ ينخر جسمَ الأمة.

لكنْ سواءٌ كان موقفُ المطالبين بتأجيل الصراع ضدّ العدو والإسراع بتحقيق الديموقراطية نابعًا عن قناعة، أو تكتيكًا لإبعاد الأمة تدريجيّاً عن منطق المقاومة والممانعة، فقد تبيّن أنّ الديموقراطية التي تريدها أميركا هي تلك التي تَمْنح الحُكمَ في البلاد العربية والإسلامية لأصدقائها ومَنْ يدور في فلكهم. أما حينما تُفْرز الديموقراطيةُ حكّامًا لا ترضى عنهم أميركا، فنصيبُهم الحصارُ والحربُ تمامًا كما حصل للشعب الفلسطيني.

حـــوار مـع المصطفى المعـــتـــصم

إنّ بناء الدولة الديموقراطية الحقيقة جزءٌ من المعركة التي كانت (ولا تزال) القوةُ الحيةُ المقاومةُ في المجتمعات العربية والإسلامية تخوضها. وإنّ الهزائم التي لحَقتْ بالدول العربية في صراعها الطويل مع الصهيونية تعود بالدرجة الأولى إلى النخب الفاسدة التي حَكَمت البلادَ والعبادَ بالنار والحديد، والكثيرُ منها ما كان ليستمرّ في حكمه لولا الدعمُ الكبيرُ الذي يتلقّاه من الاستكبار العالمي.

إنّ الديموقراطية الحقيقية معناها إعادةُ الاعتبار إلى سيادة الأمة على قرارها وشأنها العام وخياراتها الحضارية والأمة لن تكون إلاّ مع الكرامة والعزة، مع التقدُّم ضدّ التخلف، مع المقاومة ضدّ الهزيمة والاستسلام للأعداء.

الآداب: **يكاد المثقف العربي أن يتجاهل البعدَ الحقيقي لهذه الحرب الإسرائيلية المفتوحة، وهو البعد الذي عَبّر عنه بلير حين أشار إلى أنّ جيوش «العالم الحرّ» لا تحارب من أجل الانتصار على جيوش نظامية، أو بغيةَ الإطاحة بأنظمة قائمة، وإنما من أجل تغيير منظومة القيم في «الشرق الأوسط» لإلحاقها بمنظومة «العالم الحرّ.» كلام بلير هذا يَعْضده تصريحُ رايس: «إنّنا نعيش جميعًا مخاضَ ولادة شرق أوسط جديد.» وثم جاء تصريح بوش ليؤكّد أنّ «العالم الحر» يواجه خطرَ «الإسلاميين الفاشيين.» وكلُّ هذا يدلّ على أنّ الهدف من الحرب هو إعادةُ صياغةِ هويةِ المنطقة العربية، بتغيير قيمها ومسخِ تاريخها وتراثها الحضاري والإنساني. في رأيكم، هل يَمْلك المثقفون العرب، اليوم، رؤيةً عميقةً لأبعاد «معركة القيم» المعلنة تحت مسمّى كبير وهو «صراع الحضارات»؟**

المعتصم: إنّ مقولة «الصراع الحضاري» مقولةٌ خرجت من مختبرات الاستخبارات المركزية الأميركية، وسَوَّقَ لها بالأساس مثقفون وإعلاميون وسياسيون على علاقة مباشرة بالدوائر الصانعة للقرار في الغرب عمومًا والولايات المتحدة خصوصًا

غير أنّنا لسنا أمام صراع حضارات، بل أمام صراع إرادات: إرادة استعمار في مواجهة إرادة المقاومة. الحرب في لبنان والعراق وفلسطين تجسيدٌ لإرادة استعمارية تَعْرف جيّدًا أنّ خوض الحرب من أجل تغيير منظومة القيم في «الشرق الأوسط» لإلحاقها بمنظومة «العالم الحرّ» ضرورةٌ لتثبيتِ الاستعمار وإدامته وهذا الاستعمار يعرف جيّدًا أيضًا أنّه لن يَفْرض إرادتَه مع بقاء المقاومة، وفكرِ المقاومة، والقيمِ المرجعية التي تغذّي المقاومة

يجب أن لا ينسيَنا ما يجري على الساحة العربية والإسلامية من حروب ما يجري على ساحات دولية أخرى. ففي أميركا اللاتينية «المسيحية» اليوم حركةٌ واسعةٌ لمحاولة الانعتاق من الهيمنة الاستعمارية الغربية والشيء ذاته نسجّله في إفريقيا وآسيا، بل وحتى داخل شعوب الدول الغربية. وما ارتفاعُ الأصوات المندِّدة بالحروب الأميركية والصهيونية إلاّ دليلٌ على أنّ العالم كلَّه ما عاد ينخدع بالأطروحات التي تروِّج لها الدوائرُ الإستعمارية

صحيحٌ أنّ المقاومة العربية والإسلامية هي اليومَ في طليعة الصراع المسلح بالمقارنة مع باقي المقاومات العالمية الأخرى (للعولمة مثلاً). لكنْ لن يمرّ وقتٌ طويل حتى يَشْهد العالم انتفاضات الشعوب، خصوصًا شعوب العام الثالث ضدّ الاستعمار الجديد.

إنّ الاستعمار يريد منّا بالضبط تبنّي مقولاته حول «صراع الحضارات،» وهو ما سيساعده على عزلنا والاستفراد بنا حينما يضعنا في صورة أعداء الحضارة الغربية السائدة ـ التي يجب أن نعترف أنّ بريقَ نجاحاتها ما يزال يأسر العديد من شعوب ودول العالم لذا فعلينا أن نَنْجح في وضع الصراع الدائر في منطقتنا في سياق صراع عالمي عامّ وشامل بين الاستعمار بكلّ أشكاله وتمظهراته، وبين الشعوب والدول التوّاقة إلى الاستقلال والحرية والكرامة

الدار البيضاء

المصطفى المعتصم

الأمين العام لـ «حرب الديل الحضاري» الإسلامي في المغرب